المحاضرة: 03

منطلقات اللسانيات النفسية

(اللغة والفكر والتواصل)

الهدف الخاص:	**أن يعرف الطالب منطلقات اللّسانيّات النّفسيّة ومجالاتها.**
الأهداف الإجرائيّة:	**1- أن يسمّي منطلقين من منطلقات اللسانيات النفسية على الأقل**
	2- .أن يبيّن كيفية واحدة أين يتعامل الدماغ فيها مع اللغة.

تمهيد:

اللّغة أحد المواضيع الجوهرية في العلوم الإنسانية، إنها السمة المميزة للإنسان عن بقية المخلوقات، وهي أيضا أساسية للتواصل والتعاون البشري، فنحن ننجز أشياء مدهشة عن طريق مشاركة معرفتنا أو تنظيم أفعالنا بواسطة أقوالنا. إلا أنها في الآن نفسه تشكل ألغازا علمية دقيقة، من مثل: كيف تطورت اللغات لدى هذه الأنواع تحديدا؟ كيف يعالج الدماغ اللغة لما يقوم ذهن الانسان بتشفير معلومة في التسلسل ذاته من الهمهمة والهسهسة والصرصرة والفرقعة التي يصدرها؟ لكننا نمتلك القدرة على استخراج المعلومة من ذلك التيار من الضوضاء مما يسمح لنا بمشاركة الشخص المتكلم الأفكار، وهذه الأفكار التي سنشاركها هي عن هذه الهبة -الربانية -"اللغة" حيث يستطيع الشخص المتكلم أن يجعلنا نفكر في مجموعة واسعة من مختلف المواضيع عن طريق تسلسل مختلف قليلا عن الهسهسة والصرصرة.

هذا ما تسمح به اللغة وتجعلنا نفكر فيه بعدّه إعجازا اللغة. إنها قوة ذهنية وتعبيرية واسعة وظاهرة لا تزال تملأنا بالتعجب، ولوحتي بعد أن درسناها لعديد من السنين بحسب كل واحد منا، وهي الظاهرة الأساسية التي يهدف علماء اللغة إلى تفسيرها. وعلماء النفس إلى استعمالها

أولا: اللغة

الذي يجب ألا نخلطه مع اللغة فهو قواعد اللغة الصحيحة؛ يميز اللغويون بين النحو الوصفي؛ وهو القواعد التي تصف الطريقة التي يتحدث بها الناس، وبين النحو المعياري؛ وهو القواعد التي تصف الطريقة التي يجب أن يتحدث بها الناس في حال كتابتهم لنثر دقيق. إنّ عديدا من القواعد المعيارية ليست منطقية على الإطلاق، مثل ما يجب على المرء ألا يستخدم ما يسمى نفيا مضاعفا على الإطلاق لو قارنت قواعد اللغة وما يسمى باللهجة لوجدت أن كلا منهما معقد بطريقة مختلفة

أ- كيف تعمل اللغة: بايجاز بسيط نستطيع تقسيم اللغة إلى ثلاثة كيانات:

1- قواعد فونولوجية أو علم الأصوات وهي القواعد التي تسمح لنا بالجمع بين حروف العلة والحروف الساكنة لتكوين أصغر الكلمات. كل هذه المعرفة اللغوية يجب ان ترتبط بالعالم وذلك بالواجهات وهي التي تسمح لنا بفهم اللغة الصادرة عن الآخر وإنتاج لغة يفهمها الآخرون، يحدث ذلك عبر واجهات اللغة .

2- الكلمات المورفولوجية أو علم الصيغ: وهي المكونات الأساسية للجمل المخزنة في الذاكرة طويلة المدى والتي تسمى المعجم أو القاموس العقلي ب- ، وهي القواعد التي تسمح لنا بتجميع أجزاء من الكلمات كالبوادئ واللواحق (-prefixes suffixes) لتكوين كلمات معقدة .

3- 2-القواعد النحوية: التي تسمح لنا بتجميع الكلمات في عبارات وجمل عبر ترتيب(اسناد) محدد يحقق المعنى أوهي الوصفات أو الخوارزميات التي نستخدمها لتجميع أجزاء من اللغة إلى تراكيب لغوية أكثر تعقيدا لا يمكن الاستغناع عنها في إزالة اللبس أثناء الكلام و**الذي يجب ألا نخلطه مع اللغة فهو قواعد اللغة الصحيحة**؛ يميز اللغويون بين النحو الوصفي؛ وهو القواعد التي تصف الطريقة التي يتحدث بها الناس، وبين النحو المعياري؛ وهو القواعد التي تصف الطريقة التي يجب أن يتحدث بها الناس في حال كتابتهم لنثر دقيق. إنّ عديدا من القواعد المعيارية ليست منطقية على الإطلاق، مثل ما يجب على المرء ألا يستخدم ما يسمى نفيا مضاعفا على الإطلاق لو قارنت قواعد اللغة وما يسمى باللهجة لوجدت أن كلا منهما معقد بطريقة مختلفة

ثانيا الفكر

مما يجب الإشارة إليه ابتداء هنا ضرورة التفريق بين اللغة والأفكاريقول عديد من الأشخاص أنهم يفكرون باللغة لكن علماء النفس المعرفي قد اظهروا أن هناك أنواعا كثيرة من الأفكار التي تتخذ شكل جمل. فعلى سبيل المثال نعرف من خلال تجارب فريدة أن المخلوقات غير اللغوية كالأطفال الرضع قبل تعلمهم الحديث أو الحيوانات يملكون أنواع متطورة من الإدراك(الفهم) والتي تسجل السبب والنتيجة والأشياء ومقاصد الآخرين ...وكل ذلك دون خاصية الحديث. [1]

إننا نعلم أنه حتى لدى المخلوقات التي تمتلك لغة كالإنسان البالغ فان كثيرا من التفكير يحدث في أشكال كثيرة غير اللغة. ومن باب المثال الصورة المرئية، فإذا نظرنا إلى مجسمين هندسيين وتساءلنا هل هما متماثلان أم مختلفان فإننا لا نحل المشكلة عن طريق وصف سلسلة المكعبات هذه بالكلمات بل عن طريق اخذ إحدى الصور وتدويرها عقليا باتجاه الأخرى وهذا شكل من أشكال التفكير غير اللغوي.

لذا فانه حتى عند فهمك للغة ما فان ما تخرج به في حد ذاته اللغة الفعلية التي سمعتها .الذاكرة طويلة المدى للمواد الفعلية تسجل خلاصة أو معنى أو محتوى الكلمات ’بدلا من الهيئة المحددة لها .ما يعلق بالذاكرة هو شيء أكثر تجريدا بكثير من الجملة الفعلية ؛ الشيء نطلق عليه المعنى أو المحتوى أو الدلالة "نحن لا نتذكر الكلمات بل المعنى " في الحقيقة عندما يأتي الأمر إلي فهم جملة ما فان الكلمات هي مجرد غيض من فيض هائل من معالجة غير لغوية لا واعية متسارعة جدا , وهي ضرورية حتى لاكتساب معنى للغة ذاتها .فاللغة ليست تفكيرا بل طريقة تعبير عن الأفكار ولو كانت اللغة تفكيرا حقا لطرح سؤال من أين تأتي اللغة إن كنا غير قادرين على التفكير دون لغة ؟

ولكن إذا كانت اللغة ليست تفكيرا، إنما باستطاعتها التأثير على الأفكار، وهذا ليس إنكارا لقدرة اللغة على التأثير على الأفكار ...وإنما حتى لا يعتقدن أحد أن اللغة هي نفسها التفكير وان كل حياتنا العقلية تتكون من قراءة الجمل.

ثالثا: التواصل

اللغة أداة للتواصل انطلاقاً من أهميتها، ودورها الفعال في عملية التواصل البشري، الذي بات ضرورة ملحة لدى الباحثين، يتحتم علينا أن نلقي الضوء على ماهيتها التواصلية، فلا شك أن التواصل communication الذي تعددت مفاهيمه وتنوعت اتجاهاته في الآونة الأخيرة، ما هو إلا عملية بشرية تدور في فلك اللغة، بدءاً بالفكرة، وانتهاءً بالإبلاغ، هذه

1- ينظر : أسس تعلم اللغة وتعليمها، براون، دوجلاس، ترجمة عبده الراجحي وعلي شعبان. بيروت: دار النهضة العربية، ط:1994 م، ص: 48 – 49 و 165-168.

اللغة التي تتجلى أهميتها ويتعاظم دورها في حياتنا اليومية، بعدّها أداة نستقبل ونرسل بها، توسّع مداركنا، وتحرك شعورنا، لا تعدو إلا أن تكون إشارات أو أصوات، وربما ملامح وعلامات يفهم معناها.

والحقيقة أن تعدد الآراء حول تعريف اللغة بمفهومها التواصلي التي جاءت جميعها متفقة على مفاهيم وأهداف واحدة، هو مظهر طبيعي في ظل تعدد المدارس التي ينتمي إليها ذوو هذه الآراء. لكن واقع الحال في هذا الشأن يقول بأن المدرسة الأمريكية كانت صاحبة النصيب الأوفر في هذا المجال، فالأمريكي إدوارد سابير" Edward Sapir " (1988- 1939م) هو أول من فطن إلى أن اللغة أداة اجتماعية، غايتها التواصل بين أفراد المجتمع، حين قال: "اللغة هي أداة لتوصيل أفكار ومشاعر، وكذلك رغبات من خلال نظام من الرموز يختاره مجتمع ما". والحال كذلك عند نعوم تشومسكي N. Chomsky (1928م)، حين ذكر: " أن اللغة ما هي إلا فئة محدودة أو غير محدودة من الجمل، يمكن بناؤها من مجموعة محدودة من العناصر[1]. وقبلهما ابن جني في كتابه الخصائص، حين قال: (حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن حاجاته)

أهمية السياق:

بهذه المفاهيم الثلاثة يؤكد كل من ابن جني وسابير وتشومسكي أن اللغة في شقها التواصلي مجموعة من الأفكار والمشاعر تصدر عن متحدث أو كاتب، ولكن يتعذر ذلك حين التعبير عنها دون سياقات، تتطلب من المرسل انتقاءً جيداً لمفردات تساق في جمل، هدفها إبلاغ رسالة ذات مفهوم لها ارتباط وثيق بهذا السياق الذي هو حجر الزاوية في عملية التواصل، لا يقل أهمية عن اللغة التي هي النظام المرتب لهذا السياق، حيث تجتمع هذه اللغة على توصيل الأفكار والمشاعر من خلال نظام من الرموز يختاره المجتمع.

وظاهرة التواصل اللغوي وماهيتها، لم تكن ذات أهمية يلتفت إليها قبل عقد السبعينيات من القرن العشرين، حتى قالت ساندرا سافجينون Sandra Savignon، أستاذ علم اللغة التطبيقي بجامعة فلادلفيا الأمريكية، في أحد مؤلفاتها: إنها (التواصل)عملية مستمرة للتعبير والتفسير وتبادل وجهات النظر، أما فرص هذه العملية فهي غير محدودة، تحكمها نظم مختلفة من الإشارات، والعلامات والرموز التي لا يمكن تصنيفها، أو تعريفها بدقة.

كذلك الأمريكي ولكنز (Wilkins)أحد رواد هذا المجال، وأستاذ علم اللغة التطبيقي الذي أكد على أن التواصل نتاج للعلاقة بين المعنى الذي ينتقل عبر الأشكال اللغوية للتعبير، وبين الملامح العملية التي يمكن قبولها من كافة المشتركين في هذه العملية(مبدأ التعاون). وولكنز برأيه هذا، يخلص إلى ثلاثة أطر تجمع بين المعنى، والنظام اللغوي، والجوانب الاجتماعية، كما تشير نظريته إلى ضرورة أن يتوفر في المرسل كفاءة محددة لإيصال هذا المعنى مقبولاً ومصاغاً في مفردات منتقاة تتفق مع فكره، وفكر الطرف المستقبل بوصفه وحدة من الوحدات المكونة لبناء المجتمع.

وبإمعان النظر في رأي سافجنون وولكنز يبدو لنا أنهما متفقان على أن اللغة وسيلة إبلاغ يقصدها المتحدث عندما يريد أن يوصل معنى تعبيري أو توضيحي، شريطة أن تحدده المواقف اللغوية الخاصة بكل لغة على حدة. لأن اللغة التواصلية وسيلة أساسية من وسائل التواصل الاجتماعي، وخاصة في التعبير عن الذات وفهم الآخرين، كما أنها وسيلة فعالة ومهمة من وسائل النمو العقلي والمعرفي والانفعالي.

1- عبد العزيز العصيلي، النظريات اللغوية والنفسية وتعليم اللغة العربية، مطابع التقنية للأوفست، الرياض، 1999م، ص: 73.